

Chapter 18

War against Terrorism: An Analytical Study of Issa Alabi Abubakar's *Assubaa'iyat*

Tajudeen Yusuf

الحرب ضد الإرهاب: دراسة تحليلية لقصيدة
عيسى ألبى أبوبكر

تاج الدين يوسف

Abstract

Ilorin is one of the Northern Nigerian societies where Arabic literature, most especially poetry, is highly valued for giving voice to the deepest feelings and concerns of the people of the nation. Being an Islamic cultural center, some indigenous Arabic scholars, endowed with the art of poetry, have played a central role in the development and integration of the nation irrespective of the cultural diversities in the nation. Presented in three sections in Arabic, this paper examines one of the contemporary Arabic poets named Issa Alabi Abubakar and his contribution to the integration and peaceful co-existence of the nation. A theme addressing terrorism, a tragedy that creates fear in the minds of people and claims the lives of innocent people, has been selected from his collections titled *Assubaa'iyat* for study and analysis.

المقدمة

الإرهاب بوصفه مجموعة الأعمال التي تعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة، أو تهدد الحريات الأساسية، أو تنتهك كرامة الإنسان¹ من الظواهر الخطيرة التي يعانيها العالم اليوم، فقد شهد المجتمع البشري ولا يزال يشهد ألواناً من الصراعات في جميع نواحي الحياة، السياسية منها والاجتماعية والثقافية والدينية، فإرهاب بوكو حرام وأمثالها في المجتمع النيجيري من الأمثلة الحية، الدماء تسال كل يوم، وأرواح الأبرياء تُزال، ويترتب على ذلك كله فقدان الإنسانية والروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع في جميع المستويات، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة التكامل والاندماج الوطني سبيلاً للنهضة الإنسانية لأجل غرس ثقافة التعايش السلمي في المجتمع.

والشاعر ابن بيته، وابن عصره وما يدور حوله من الحوادث، فقد كان للشعر دور كبير منذ القدم في معالجة قضايا المجتمع، وبما أن الشعر في جميع العصور والبيئات مرآة تنعكس عليها أحوال المجتمع وجميع الأحداث التي يكتنفه إيجابياتها وسلبيات مجتمعهم، فإن شعراء شمال نيجيريا قد أدوا دورهم في جعل شعرهم مرآة يقرأ من خلالها واقع المجتمع، وكانوا الصوت الناطق لما يحدث في المجتمع وما يطرأ عليها من التغيرات والحوادث. وقاموا بالدعوة إلى مكارم الأخلاق والمثل العليا والترابط، ومن فحول الشعراء النيجيريين الذين يشار إليهم في هذا المجال الشاعر عيسى ألي أبوبكر. وهو من الشعراء النابغين الذين جعلوا الشعر العربي مكانة لا يستهان بها في ديار نيجيريا وخارجها، جعل الشعر وسيلة للتعبير عن الهوية الوطنية. ويعد كتاب "السباعيات" من عيون دواوين ألي أبي بكر عاج فيها قضايا الحياة المتنوعة.

تهدف هذا المقال إلى دراسة سباعية من سباعيات عيسى ألي أبو بكر لإبداء دور الشاعر في الدعوة إلى الاندماج الوطني ونشر الحياة المشتركة

بين أبناء المجتمع على اختلاف معتقداتهم وعناصرهم الاجتماعية والثقافية. وتكون الدراسة من مقدمة، نبذة يسيرة عن الشاعر، وعرض القصيدة، ثم تحليلها، فالخاتمة. وتتبنى الدراسة المنهج الوصفي لتحليل الأبيات الشعرية المختارة لكونه أنسب أنواع مناهج البحث في الآداب.

الشاعر عيسى ألي أبو بكر

يعد عيسى ألي أبو بكر أحد أشهر الشعراء الأفارقة ونابع بين الشعراء النيجيريين في العصر الحديث، وهو من أجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ، فقد نالت قصائده إعجاباً بين الدارسين داخل نيجيريا وخارجها، ويكفيها دلالة على شاعريته أن معظم أشعاره قد درست في كثير من جامعات نيجيريا، وقد اهتم الدارسون وخاصة في المدارس العليا في نيجيريا وخارجها بقصائد أبي بكر وأولوا اهتماماً خاصاً بالتعرف على دقائقها، ونال احترام الجميع لحكمته ثقافته ونبوغه الشعري ويدور قصيدته هذه حول الدعوة إلى الأمن والأمان والتضامن والاندماج الوطني والدعوة إلى ثقافة التعايش السلمي بين أفراد المجتمع والابتعاد عن كل ما له صلة بالعنف والإرهاب. وتتوّج الحكمة هذا الشعر بهالة من الوقار تعكس شخصية الشاعر الحكيم.

عرض للقصيدة الإرهابيون²

وأسالوا الدماء في كلّ واد
هاب أو هدم سور أمن البلاد
عبّ إحراره بغارات عّاد
س التي يزّهقونها بفساد؟
ثيل بالأبرياء لنيل المراد؟
لّ مكان تشدّد الأوغاد
الله من قبل ضيره للعباد

قذّفوا الرعب في قلوب العباد
كيف تحقيق ما يرومون بالإر
إن ما لا ينال بالسلم قد يص
أيّ شيء يا قوم أغلى من النف
أيّ دين دعا إلى العنف والتم
قائل الله من يشجع في ك
إن إرهابهم يفيد عدوّ

التعريف بالقصيدة

هذه القصيدة بعنوان "الإرهابيون" من عيون قصائد دوتها الشاعر عيسى ألي أبوبكر في ديوانه الموسوم بـ "السباعيات"، ويعد هذا الكتاب من الدواوين والأعمال الأدبية التي أنتجها أبوبكر ومن روائع الشعر المعاصر في الأدب العربي النيجيري، تميزت القصيدة بالتكامل والانسجام وبجمالية شعرية خاصة، بالإضافة إلى روية فنية شاملة. ففي القصيدة التعبير عن فكرة الشاعر وموقفه ضد عملية العنف والإرهاب والتنكيل الوحشي بالإنساني في المجتمع البشري. يعبر الشاعر عن شعوره ضد تلك الأحداث المؤسفة والنكبات الأليمة التي استولت ويلاقتها على العالم معبراً عن تلك المأساة التي قد أدت إلى سفك دماء الأبرياء وتشريد الشعوب من أراضيهم وأوطانهم، ويؤكد الشاعر أن تعاليم الأديان السماوية جميعها بريئة كل براءة عن العنف والإرهاب، ويدعو الشاعر الجميع إلى التمسك بكل ما يؤدي إلى الأمن والسلام، وأن ما لا يُنال بالسلم يصعب نيله بالعنف والإرهاب، كما دعا إلى التعايش السلمي والذي هو الحياة المشتركة في السلم والأمان في مناخ تسوده المشاركة والصدقة.³

تحليل الأبيات

في البيت الأول يقدم لنا الشاعر حقيقة الإرهابيين وأعمالهم الشنيعة والتي من بينها التهديد باستخدام العنف والتخويف والإكراه لتحقيق الغايات والأهداف،⁴ وما يترتب عليها من سفك الدماء وتدمير أنظمة المجتمع، ذلك لأن في ظل الأمن والأمان والطمأنينة يؤدي كل فرد من أفراد المجتمع واجبه على الوجه الأكمل، وتؤدي كل جماعة واجبها كأحسن من ما يكون الأداء. في البيت الثاني والثالث. عاب الشاعر الإرهابيين الذين يمارسون العنف لنيل مقاصدهم. وإذا كان (الإرهاب) هو التهديد باستعمال عنف غير عادي

لتحقيق غايات سياسية كانت أم دينية أم اجتماعية عند بعض المحللين،⁵ فإذا كانت في تعبير سياسيين رمزاً لكسب ثعاطف الشعوب لتظل مساندة لحكومتهم أو للقضاء على من يخالف مصلحتهم،⁶ فإن شاعرنا يقف موقفاً مخالفاً وسلمياً، ويرى أن (الإرهاب) قولاً كان أم فعلاً لا يجلب إلا البؤس والخسائر في الأرواح والأموال فحسب للمجتمع، بل هو إهدار وخرق فاضح لحقوق الإنسان الأساسية، وتفكيك تماسك نظم المجتمع، وتهديد خطير لعلاقات التعاون بين أفراد المجتمع والشعوب والتعايش بين البشر والسلام والأمن على المستوى الوطني والعالمي. ويرى أن اعتماد مبدأ القوة والعنف وسيلة لتحقيق الغايات يقود المجتمع للهلاك والخراب. ولا شك أن مناهضة الإرهاب لا تكون إلا بالرد الإيجابي، وإزالة الإساءات المثيرة للشعوب، وذلك لأجل استمرار التواصل الإيجابي وبث التعايش السلمي في المجتمع.

ويؤكد الشاعر في الرابع والخامس على خطورة انتشار عملية الإرهاب وما شاكله في المجتمع البشري وما يترتب عليه من سفك الدماء البريئة في الشوارع وأنها من أبشع الجرائم والاعتداء في المجتمع.⁷ ويؤكد الشاعر أن الأديان السماوية جميعها بعيدة كل البعد عن الفكرة الإرهابية وما إليها. وعلى رأسها فإن الإسلام الذي جعل السلام تحية لمعتنقيه لا يمكن أن يقرّ شيئاً مما يسمى بالعمليات الإرهابية في المجتمع فضلاً عن الولايات والرعب والعواقب الشنيعة التي تركتها أشكال العنف في المجتمعات.⁸ إن ظاهرة الإرهاب ظاهرة غريبة في الأديان السماوية، وفي الإسلام على وجه الخصوص، والإسلام منه بريء، فالدين الإسلامي دين التسامح والتعايش السلمي بين الشعوب. فالإرهاب كما يؤكد الشاعر، ليس له دين لا إنسانية. إن الإسلام يكره التهديد باستخدام القوة غير المشروعة ضد الأبرياء لتحقيق الأهداف السياسية كانت أم غير سياسية. فالإسلام أولاً وأخيراً يدعو إلى استقرار واستقامة الأمن الداخلي في كل صورة من صوره. الإسلام يدعو إلى الأمن الداخلي والخارجي، فإن المتأمل في تاريخ الدعوة الإسلامية منذ

بدايتها، يرى أنها قامت على العدل والإحسان والخير والحكمة والموعظة الحسنة والحوار مع الآخر بالتي هي أحسن.

ولقد روى لنا تاريخ صوراً متنوعة تبين لنا ما للأدب بما فيه الخطابة من دور فعال في دفع الناس إلى ما هو خير وحثهم على الفضائل، فعلى سبيل المثال تتجلى مبادئ التعايش السلمي والتواصل البناء الراقي في خطبة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي ألقاها بعد البيعة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما اختلف الناس فيمن يخلفه في سقيفة بني ساعدة، حيث إن الأنصار يريدون أن يكون الخليفة منهم، كما أن المهاجرين يرون أنهم خير من يستحق الخلافة مما أثار الخلاف والنزاع. فقام أبو بكر رضي الله عنه أخيراً في الناس وخاطبهم بخطبة حكيمة ينبغي أن يتخذها كل حاكم وداعية دستوراً. فبعد أن حمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، قال:

أيها الناس، إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله. فإن عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم.⁹

ويتجلى في خطبة أبي بكر وتعبيراته شخصيته المتواضعة، وسياسته المرنة، وقوة فطنته، وسرعة البديهة وذكائه، وتلفظه في الكلام والحديث، تلك لغة السياسة التي تعلن للأجيال القادمة من بعده مبادئ التواصل السياسي والديني والاجتماعي التضامني الناضجة:¹⁰

وهذه المرونة تنطبق تماماً مع قول الله تعالى: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن

ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴿ (النحل: 152)، وعلى هذا المنهج دعا الهادي البشير صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام تحت الأمن والسلام، ولم ينتشر الإسلام بالحرب ولا بالسيف ولا بالقهر ولا بالإجبار، ولا بأي أسلوب من أساليب القوة أو العنف، إن الإسلام يدعو إلى إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وكرامة الإنسان.

وفي البيتين الأخيرين يظهر الشاعر شعوره وآلامه نحو هذه الصنيعة الشنيعة وأعوانها من المخططين ومنفذيها ويدعو عليهم بالويلاب والهلاك لأجل الولايات والرعب والعواقب الشنيعة التي تركتها أشكال الإرهاب والعنف في المجتمعات. ذلك لأن الإرهاب الذي هو "الاستخدام غير القانوني للقوة أو العنف، أو التهديد بهما، من منظمة ثورة ضد الأفراد أو الممتلكات، مع نية إكراه الحكومات أو المجتمعات لتحقيق أغراض هي غالباً أيديولوجية"¹¹ ليس له مصلحة في المجتمع البشري. ولقد أثبتت أغلبية شعوب العالم حديثة الاستقلال أن رؤيتها السياسية واضحة جلية، وأن العوامل والقيم التي تحرك الشعوب في جميع أنحاء العالم في مجتمعنا الدولي الحديث واحدة في جوهرها لا خلاف عليها وهي الاعتراف بإنسانية الإنسان في المجتمع.¹²

ولقد تنبّهت إدارة هيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سي) إلى ما للكلمة من الخطورة، فأصدرت تذكيراً للعاملين فيها بتوخي الحذر الشديد عند استخدام كلمة (إرهابي)، مشددة على أن سوء استخدام الكلمة، قد يحول بين المستمعين وبين الفهم الصحيح للأحداث. وأكد مصدر في المكتب الصحافي في (بي.بي.سي) أن المذكرة الخاصة باستخدام لفظ (الإرهاب) و(إرهابي) ليست حديثة، وإنما بدأ العمل بها بعد تفجيرات يوليو (تموز) الماضي في العاصمة البريطانية وأن إعادة إصدارها الآن يهدف لتذكير العاملين بالاستخدام المتعارف عليه حسب دليل (بي.بي.سي)، وحسب الفقرة الخاصة باستخدام كلمة إرهابي في الدليل،

وعلى الصحفيين في الهيئة أن يعدوا التقارير الإخبارية الخاصة بالعمليات الإرهابية بدقة ومسؤولية، وأن استخدام مفردات اللغة، يجب ألا يتأثر بالعاطفة أو الحكم الشخصي، وذلك للحفاظ على المصداقية التي تتميز بها الهيئة.¹³ فالعيش في بيئة يسودها السلام والأمن ضرورة من ضرورات الكرامة الإنسانية وتنمية المجتمع.

الدراسة الفنية للأبيات

• الشكل والمضون

القاريء لشعر أبي بكر يلمس الرصانة في الوزن الشعري، وفي حسن اختيار الألفاظ والعبارات، وفي الوضوح الفكري، والسهولة الأدائية. يعتبر عن خواطره الأدبية بكل وضوح شكلاً ومضموناً مع الأسلوب الناجح. كانت ألفاظها بعيدة عن تفكير عميق، يرسلها إرسالاً بكل سهولة، وهو إلى ذلك يوردها بطريقة أدبية سهلة المأخذ، تلك الألفاظ والأسلوب الصادرة عن حسن الاختبار والعقل المفكر الهادي الذي يتطلع إلى الحياة.

• الجانب العاطفي

تجلى في الأبيات عاطفة الشاعر الصادقة في تعبيره عن قضايا عصرية وما يجري في المجتمع من الأزمات والأعمال الإرهابية عن طريق دفقات شعرية مكثفة ذات بعد إيحائي أحياناً، ونبرة خطابية في بعض الأحيان، لكن الشاعر في الحالتين يتجاوز تعبيره عن البعد الفردي إلى التعبير عن البعد الإنساني والديني. كما يتضح جلياً شعوره وفكرته ضد الإبادة والتنكيل، يقول الشاعر:

س التي يزهقونها بفسساد؟
ثيل بالأبرياء لنيل المسراد؟

أي شيء يا قوم أغلى من النف
أي دين دعا إلى العنف والتم

• الصورة البلاغية

القارئ المدقق لأشعار عيسى ألي أبي بكر يجدها تحتفل بالصور البلاغية الموافقة والخالية من التكلف الزائف، وعلى وجه المثال نجد الشاعر يتساءل متعجباً ومستغرباً في البنين السابقتين.

الاستفهام في البيتين فيه نوع من التصور يتحدى به السامع، إذ لا يوجد شيء أعلى من النفس، ولا دين من الأديان السماوية يشجع العنف والإرهاب وقتل الأبرياء، ففي الاستهامين الإنكار التويخي والتنبيه على ضلال¹⁴ الإرهابيين والعنفيين، أي أن ما كانوا عليه لا ينبغي، وفي مثل هذا الاستفهام تنبيه الإرهابيين ومن في حكمهم حتى يرجعوا إلى نشر السلام والحوار السلمي.

خاتمة

ناقشت هذه الدراسة دور الشعر العربي النيجيري في الدعوة إلى التضامن والاندماج الوطني والعيش المشترك، وقد ساهم الشعراء في تحقيق نشر السلام والتنمية المستدامة وبناء المجتمع عن طريق التحلي بالتسامح الاجتماعي وإيجاد القدرة على احترام الاختلافات وأوجه التنوع. والقارئ لشعر عيسى ألي يقف على طبيعة الإنسان في بغضه وكراهيته للحرب ونزوعه للسلام، فشاعرنا رجل اجتماعي يؤمن بالحياة المشتركة في الأمن والأمان، ويؤمن بأن الإنسان خلق لكي يعيش في مجتمع يتفاعل وإياه تفاعلاً إنسانياً بعيداً عن شريعة الغاب، وبعيداً عن القلق والإضطراب. وهكذا نرى شاعرنا هو ابن الإنسانية يعمل في سبيل سعادة فردية واجتماعية يدعو إلى نبذ العنف والإرهاب، وقف موقف الهادي والمرشد والمصلح. وكان مبدؤه أن ما يحل سلمياً خير مما يحل حربياً، وأن العنف والعناد يقودان إلى الدمار، ويرى أن العنف لا يولد إلا العنف.

الهوامش والمراجع

1. الموسوعة العربية، الجمهورية العربية السورية: هيئة الموسوعة العربية، 1998م ، 961-960 /7.
2. عيسى ألي أبو بكر، السباغيات، أوشن- نيجيريا، المركز النيجيري للبحوث العربية، 2008م، ص 65.
3. ينظر المعجم الوسيط، ج/2 ماد (عاش).
4. نعوم تشومسكي، الإرهاب الدولي: الأسطورة والواقع، نقلاً عن عرسان، علي عقله، العنف والإرهاب، الموقف الأدبي، العدد 279، تموز 1994، ص 8، ص 8.
5. إريك، موريس، الإرهاب: التهديد والرد عليه. (ترجمة أحمد حمدي محمود)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م، ص 39.
6. انظر: داود محمد محمد، اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر. القاهرة: دار غريب، 2003م، ص 26.
7. سلطان، محمد خضير، أدب: "الإرهاب واللغة .. دلالات و وقائع". جريدة الصبا، الخميس 3 ربيع الأول 1428 هـ 22 اذار 2007 م العدد 1071.
8. السمّاك محمد، الإرهاب والعنف السياسي، بيروت، دار النفائس، 1992م، ص 3-5.
9. شلي محمود، حياة أبي بكر، بيروت، دار الجليل، 1993م، ص 82.
10. عيسى كمال محمد، كلمات في الأخلاق الإسلامية، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، 1988م، ص 27-29.
11. المرجع السابق، ص 961-960.
12. انظر: التهامي مختار، الرأي العام والحرب النفسية. القاهرة: دار المعارف، 1982م، ص 54.
13. ينظر: ((بي.بي.سي تؤكد على الحذر عند استخدام كلمة إرهابي))، الشرق الأوسط، الأربعاء 12 ذو الحجة 1426 هـ 11 يناير 2006 العدد 9906.
14. عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج 2، القاهرة: مكتبة الآداب، 1991م، ص 44 - 46.